حرف الضاد

ضِرَارُ بنُ الخَطَّاب رضي الله عنه

فارس السِّنان واللسان

صحابي، قرشي، فهري، أحد الشعراء الأربعة الذين وضعوا أنفسهم وسلاحهم للدفاع عن قريش، والذود عن حياضها، والتصدي لمن يهاجيها، وكان الثلاثة الآخرون: «عبد الله بن الزِّبَعْرَى» و«عمرو بن العاص» و«أبا سفيان بن الحارث»، ولما كان فتح مكة العظيم، أذن الله بخروجهم من ظلام الشرك إلى نور الإيمان، ومن عبادة الأصنام والأوثان، إلى عبادة الملك الديان.

وكان «الزبير» يؤثر «ضراراً» على «ابن الزِّبَعْرى» كما نقل عنه ابن الأثير في موسوعته[1]: [قال الزبير: فضرار عندي أشعر منه ـ أي: من ابن الزَّبَعْرى ـ وأقل سقطاً]. وقال ابن الأثير في ترجمته له[2]: [كان أبوه الخطاب رئيس بني فهر في زمانه، وكان يأخذ المِرْباع لقومه، وكان ضرار يوم الفِجَار على بني محارب بن فهر، وكان من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجودين، وهو أحد الأربعة الذين وثبوا الخندق]. وفي هذا آية بينة على شدة بأسه وقوة شكيمته، وبرهان لا يرد على رباطة جأشه وشجاعته.

قال الزبير بن بكار: [لم يكن في قريش أشعر منه ومن ابن

---

(١) أسد الغابة (٢/ ٥٩٥).

(٢) أسد الغابة (٢/ ٤٧١).

الزِّبَعْرى، وكان من مسلمة الفتح، ومن شعره يوم الفتح:

يا نبي الهدى إليك لجَاجَـ ... ـى قريش وأنت خير لَجَاءِ
حين ضاقت عليهم سعة الأر ... ضِ وعاداهم إلٰه السماءِ
والتقت حَلْقَتَا البِطان على القو ... مِ ونودوا بالصَّيْلَمِ[1] الصلعاءِ
إن سعداً يريد قاصمة الظهـ ... ـرِ بأهل الحَجُون والبطحاءِ

يريد «سعد بن عبادة»، حيث قال يوم الفتح: اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمَةُ]. وقد أخرج «أبو عمر بن عبد البر» في «الاستيعاب»[2] قول ضرار: [واختلف الأوس والخزرج فيمن كان أشجع يوم أُحُدٍ، فمرَّ بهم «ضرار بن الخطاب»، فقالوا: هذا شهدها، وهو عالم بها، فسألوه عن ذلك، فقال: لا أدري من أوسكم من خزرجكم، لكني زوجتُ منكم يوم أُحُدٍ أحدَ عشر رجلاً من الحور العين]. يقصد أنه قتلهم، فغدوا شهداء، وجزاء الشهيد الجنة، ولقاء الحور العين فيها.

ولقي «ضرار» يوماً «أبا بكر الصديق» رضي الله عنه فقال له: (نحن كنا لقريش خيراً منكم، أدخلناهم الجنة، وأوردتموهم النار)، يعني. أنه قتل المسلمين، فدخلوا الجنة، وأن المسلمين قتلوا الكفار، فأدخلوهم النار. وقد روى عنه «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه، واخْتُلِفَ في صحبته، قال بعض المتأخرين: لم يذكره أحد في الصحابة، وقال ابن عساكر الدمشقي في تاريخ دمشق: (له صحبة، وشهد مع «أبي عبيدة» فتوح الشام، وأسلم يوم فتح مكة، وقد اشتهر إسلامه، وشعره ونثره يدل على إسلامه). وكان «ضرار بن الخطاب» قبل إسلامه، قد بكى قتلى قريش في «بدر» و«أحد» ورثاهم، وكذلك

(١) الصَّيْلَمُ: الداهية.
(٢) الاستيعاب (٢/٧٤٨).

صنع يوم غزوة الخندق.

وحين شهد جيوش الإسلام، بقيادة خير الأنام، عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام، تدخل مكة بدون قتال، ورايات المصطفى ﷺ تعانق السماء، علم أن الحق ظهر، وأن الباطل زهق، وأن الشرك ولَّى، فأتى النبي ﷺ مسلماً رحمه الله تعالى.

obeikandl.com